* سِلْسِلَة : الـمَقَامَات الأَدَبِيَّة (٤)



مَقَامَةُ التَّقَاعُدِ

بقلم

أ.د. أحمد بن علي القَرني

عُضْو رَابطَةِ الأدَبِ الإسْلامِي العَالَمِيّة

١٤٤٢هـ

"يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى شَيْئَيْنِ لَوْ جُمِعَا
عِنْدِي لَكُنْتُ إِذًا مِنْ أَسْعَدِ البَشَرِ
كَفَافِ عَيْشٍ يَقِينِي شَرَّ مَسْأَلَةٍ
وَخِدْمَةِ العِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِي عُمُرِي"

النشْرةُ الأولى

شَعْبَان ١٤٤٢ هـ



لِلتَّواصُلِ مَعَ المُؤَلِّفِ
على البَريدِ الشَّبَكيِّ
DAL1388@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مَقَامَةُ التّقَاعُدِ

قَالَ حَيُّ بنُ يَقْظَانَ: كَانَ فِي حَيِّنَا رَجُلٌ لَطِيْفُ الـمَعْشَـرْ، لَيْسَ بِاللَّيِّنِ وَلَا بِالْأَقْشَـرْ. بَلْ كَانَ وَسَـطًا بَيْـنَ بَيْـن، وَرَجُلًا بَيْـنَ رَجُلَيْـن. وَكَانَ يَعْمَـلُ فِي مَجَـالِ التَّدْرِيـسْ، وَيُرَوِّي الطُّلَّابَ عِلْمَ مَالِكٍ وَابْنِ إِدْرِيسْ.

فَخَطَـرَ لَـهُ ذَاتَ يَـوْمٍ خَاطِـرٌ مُعَكِّـرْ، أَلَا وَهُـوَ التَّقَاعُدُ الـمُبَكِّـرْ. فَفَكَّـرَ فِي الْأَمْرِ وَقَدَّرْ، وَقَدَّمَ رِجْلًا وَأَخَّرْ. ثُمَّ رَأَى أَنَّـهَا فِكْـرَةٌ رَاجِحَهْ، وفُرْصَةٌ سَـانِحَهْ. وَالحَكِيمُ مَنْ يَقْتَنِصُ الفُرَصَ قَبْلَ أَنْ تَطِيرْ، وَإِلَّا تَجرَّعَ الغُصَصَ كَمَا قَالَ الأَخْرَسُ وابْنُ بَشِيرْ[١].

فَعقَدَ الْعَـزْمَ عَلَى التَّقَاعُدْ، وَمَضَى لِـرَئِيسِـهِ وَأَنْفَاسُهُ فِي تَصَاعُـدْ. حَتَّى إِذَا مَا وَقَّعَ الوَرَقَهْ، مَسَـحَ حِيْنَهَا عَرَقَهْ. وَقَالَ: آنَ لِأَبِي الفَضْلِ أَنْ يَـمُدَّ رِجْلَيْه، وَأَنْ يُرِيْحَ عَيْـنَيْهِ وَأُذُنَيْه.



مَقامَةُ التَّقَاعُدِ

قَالَ الرَّاوِي: فَلَمَّا تَسَامَعَ النَّاسُ بِتَقَاعُدِهْ، وَانْصِرَافِهِ عَنْ مَجْرَى الـمَاءِ إِلَى رَاكِدِهْ. جَاؤُوا إِلَيْهِ وُحْدَانًا وَزُرَافَاتْ، وَقَدْ اشْرَأَبَّتْ أَعْنَاقُهُمْ كَالزَّرَافَاتْ. كُلٌّ يَرُومُ سُؤَالَهُ عَنْ سَبَبِ اتِّخَاذِ هَذَا القَرَارْ، وَيَلُومُهُ عَلَى الـمُكُوثِ فِي الْبَيْتِ وَالْقَرَارْ.

فَاسْتَقْبَلَهُمْ وَهُوَ مُتَبَشْبِشْ(٢)، وَأَعَدَّ لَهُمْ القَهْوَةَ وَالشَّايَ الـمُنَعْنِشْ(٣). فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ، وَقَدْ أَدْرَكَ هَاجِسَهُمْ(٤). قَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنَا عَنْكَ يَا أَبَا الفَضْلِ، وَقَاكَ اللهُ شَرَّ النَّضْلِ(٥)، وَكَفَاكَ أَلَمَ العَضْلِ(٦). فَقَالَ: وَمَا الَّذِي بَلَغَكُمْ، حَتَّى كَدَّرَ صَفْوَكُمْ، وَجَلَبَ جَمْعَكُمْ. فَقَالُوا: بَلَغَتْنَا عَنْكَ قَالَهْ(٧)، وَهِيَ أَنَّكَ قَدَّمْتَ الاسْتِقَالَهْ. وَمِنَ العَمَلِ تَقَاعَدْتَ، وَعَنِ العِلْمِ تَبَاعَدْتَ.

فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ الشَّفِيقْ، إِذْ شَاهَدَ الغَرِيقْ، ثُمَّ قَالَ وَقَدْ صَبَّ شَايًا مِنَ الإِبْرِيقْ. مَا جِئْتُ شَيْئًا إِدًّا(٨)، وَلَنْ تَخِرَّ لَهُ الجِبَالُ هَدًّا. وَإِنَّمَا طَلَبْتُ التَّقَاعُدَ الـمُبَكِّرْ، لِكَيْ أَكْتُبَ

وَأُفَكِّـرْ. فَلَقَدْ صَرَفَتْنِي الوَظِيفَةُ عَنِ الكِتَابَهْ، وَشَغَلَتْنِي عَنِ الشِّعْرِ وَالـخَطَابَهْ.

وَقُدْوَتِـي فِي هَـذَا الحَافِظُ السُّـيُوطِيْ، صَاحِبُ العِلْمِ الأَخْطَبُوطِيْ [٩]. فَقَدِ اعْتَزَلَ الوَظَائِفَ وَهُوَ فِي الأَرْبَعِينْ، لِيَتَفَرَّغَ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينْ [١٠]، وَأَنَا قَدْ تَأَخَّرْتُ عَنْهُ عَشْرَ سِنِينْ. وَلِذَا كَثُرَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ حَتَّى جَاوَزَتِ الأَلْفْ، وَصَارَ شَيْخَ الـمُصَنِّفِينَ دُونَمَا خُلْفْ.

وَأَنَا - بِحَمْدِ اللهِ - قَدْ دَرَسْتُ الأَمْرَ دِرَاسَةَ الْجَلْفَزِيزْ [١١]، حَتَّى لَا أَنْدَمَ عَلَيْهِ نَدَامَةَ (عَزِيزْ) [١٢]. وَلَمْ أَتَسَرَّعْ فِيهِ كَمَا تَسَرَّعَ (الهِلَالِي)، حِينَمَا قَدَّمَ اسْتِقَالَتَهُ لِصَاحِبِ الـمَعَالِي [١٣].

ثُمَّ إِنَّ الـمُوَظَّفَ إِذَا لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِ جَدِيدْ، فَانْسِحَابُهُ مِنَ الـمَيْدَانِ هُوَ عَيْنُ التَّجْدِيدْ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الـمَجَالَ لِلشَّبَابِ الصَّاعِدْ، لِيَصْنَعُوا - بِتَوْفِيقِ اللهِ - مُسْتَقْبَلَهُمْ الوَاعِدْ. فَإِنَّ هَذَا هُوَ عَيْنُ الصَّوَابْ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَيُّ عَابْ [١٤].



كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعَهْ، فَالقَنَوَاتُ المُتَاحَةُ اليَوْمَ كَثِيرَةٌ وَرَائِعَهْ. فَهُنَاكَ حِلَقُ العِلْمِ فِي المَسَاجِدْ، فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ المَدَارِسِ وَالمَعَاهِدْ. وَهُنَاكَ الفَضَاءُ المَفْتُوحْ، حَيْثُ يَغْدُو فِيهِ المُعلِّمُ وَيَرُوحْ. وَهَنَاكَ مَحطَّاتُ الإِذَاعَةِ وَالتِّلْفَازْ، الَّتِي تُشَجِّعُ عَلَى البَذْلِ وَالإِنْجَازْ. وَهُنَاكَ الجَامِعَاتُ الإِلِكْتُرُونِيَّهْ، مُوضَةُ التَّعْلِيمِ العَصْرِيَّهْ [١٥]. وَهُنَاكَ المَوَاقِعُ الشَّنْكَبُوتِيَّهْ، وَمَا فِيْهَا مِنْ فَوَائِدَ بَنْكَنُوتِيَّهْ [١٦]. وَهُنَاكَ تَأْلِيفُ الكُتُبِ وَالأَبْحَاثْ، وَهِيَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْكِبَارِ وَالأَحْدَاثْ، وَأَبْقَى ذُخْرًا لِأَصْحَابِهَا إِذَا حَلُّوا الأَجْدَاثْ [١٧].

ثُمَّ أَلَمْ تَبْلُغْكُمْ مَقُولَةُ الأُسْتَاذِ (العَقَّادْ) [١٨]، ذَلِكَ الأَدِيبُ النَّقَّادْ، فَلِمَاذَا الانْتِقَادْ؟! كَمَا رَدَّ البُحْتُرِيُّ عَلَى مَنْ ذَمَّ العُزْلَةَ وَأَمَرَ بِمُصَافَاتِي، فَاقْبَلُوا قَوْلَهُ حَتَّى أَكْفِيَكُمْ حَرْبَ خِلَافَاتِي! [١٩].

فَقَالُوا: دَعْنَا مِنْ هَذَا يَا هَذَا، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ هَاذَى [٢٠].

وَأَخْبِرْنَا هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا شَيًّا، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهِمْ وَحَيَّا، ثُمَّ أَنْشَدَهُمْ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ هَيَّا:

تَحَرَّرْنَا مِنَ الرِّبْقِ ... وَتَمَّ بِرَغْبَتِي عِتْقِي!
وَنِلْتُ تَقَاعُدِي حُرًّا ... وَهَذَا الأَمْرُ مِنْ حَقِّي
فَإِنَّ الكَدَّ مَدْعَاةٌ ... لِكَسْرِ الظَّهْرِ وَالعُنْقِ
فَتِيهِي زَوْجَتِي طَرَبًا ... وَدُقِّي دُفَّكِ دُقِّي!
فَقَدْ آنَ لَنَا عَوْدٌ ... نُجَدِّدُ لَاهِبَ الشَّوْقِ![21]

❋❋❋

وَلَيْسَ تَقَاعُدِي عَيْبًا ... وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ رِزْقِي
فَإِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ ... لِذِي عَقْلٍ وَذِي حُمْقِ
وَقَدْ حَصَّلْتُ مَا أَرْجُو ... مِنَ التَّعْلِيمِ وَالسَّبْقِ
وَصِرْتُ اليَوْمَ (أُسْتَاذًا) ... يُضِيءُ العِلْمُ فِي طُرْقِي

❋❋❋

وَلَوْلَا حَبْسُ أَوْلَادٍ ... لَنَا فِي البَيْتِ كَالطَّوْقِ
وَأَبْحَاثٍ أُحَرِّرُهَا ... غَدَتْ دُونَ الوَرَى عِشْقِي

مَقامَةُ التَّقَاعُدِ

لَـجُبْتُ الأَرْضَ مُـجْتَازًا مِـنَ الـغَـرْبِ إِلَـى الشَّـرْقِ
وَمِـنْ مِصْـرٍ إِلَـى يَـمَـنٍ وَمِـنْ يَـمَـنٍ لِدِيـمَـشْـقِ
إِلَـى الأَنْـدَلُـسِ الغَـرَّا بِـلَادِ الـعِـلْـمِ وَالـذَّوْقِ
إِلَـى الـمَـغْـرِبِ أَوْ تُـونُـسَ أَوْ مَـا شَـطَّ فِـي الأُفْـقِ
أَطِـيـرُ كَـخَـفْـقَـةِ الـرِّيحِ وَأَسْـبِـقُ وَمْـضَـةَ الـبَـرْقِ!

❋❋❋

فَـمَـا أَحْـلَـى الـتَّـقَـاعُـدَ يَا رِفَـاقَ الـرِّفْـقِ وَالـصِّـدْقِ!
فَـلَـيْـسَ يَـصُـدُّكُـمْ عَـنْـهُ بَـرِيـقُ الـجَـاهِ وَالـرِّزْقِ
فَـهَـذَا كُـلُّـهُ يَـفْـنَـى وَلَا يَـبْـقَـى سِـوَى الـحَـقِّ
فَـسِـيـرُوا فِـي مَـنَـاكِـبِـهَـا وَحُـومُـوا حَـوْمَـةَ الـوُرْقِ
فَـإِنَّ قُـعُـودَكُـمْ يُـضْـنِـي وَإِنَّ جُـلُـوسَـكُـمْ يُـشْـقِـي!

❋❋❋

لَـقَـدْ أَتْـمَـمْـتُ أَبْـيَـاتِـي نَـفَـثْـتُ بِـهَـا مِـنَ الـعُـمْـقِ
أَتَـتْ كَـالـدُّرِّ مُـنْـتَـظِـمًـا تَـرُوقُ لِـكُـلِّ ذِي ذَوْقِ
فَـأَيْـنَ الـبُـحْـتُـرِيْ مِـنْـهَـا أَوِ الـسَّـيَّـابُ أَوْ شَـوْقِـي؟!

فَقَالُوا: لَا فُضَّ فُوكْ، وَلَا مَنْ وَظَّفُوكْ. فَقَدْ شَرُفَتْ بِكَ الوَظِيفَهْ، وَظَفِرَتْ بِكَ الشَّرِيفَهْ. فَتَفَرَّغْ لِأَهْلِكَ وَعِيَالِكْ، وَحَافِظْ عَلَى وَقْتِكَ رَأْسِ مَالِكْ. فَقَالَ: مَا تَقَاعَدتُ إِلَّا حِفْظًا لِلْوَقْتْ، فَإِنَّ ضَيَاعَهُ مِنْ أَعْظَمِ المَقْتْ. وَإِلَّا فَقَدْ كُنْتُ فِي عَمَلِي مُرْتَاحَا، وَلَمْ أَلْقَ فِيهِ كَبْشًا نَطَّاحَا. كَمَا لَمْ تُمَارَسْ عَلَيَّ فِيهِ أَيُّ ضُغُوطْ، وَلَمْ تُفْرَضْ عَلَيَّ أَيَّةُ شُرُوطْ. فَلَمْ أَجِدْ يَوْمًا مَا وَجَدَ (رَفِيق فَاخُورِي)[٢٢]، كَمَا لَمْ أَلْقَ مَا لَقِيَ (الخَضِرُ بنُ حُسَيْنٍ) حِينَ أَعْلَنَ مَوْقِفَهُ الأُسْطُورِي[٢٣].

لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَنْصَرِفُوا، وَتَصَدُّوا عَنِّي وَتَنْحَرِفُوا. أُحِبُّ أَنْ أُبَيِّنَ لَكُمْ أَيُّهَا الرِّفَاقْ، أَنَّ التَّقَاعُدَ طَرِيقٌ لِلانْطِلَاقْ، كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ سَبَبًا لِلانْعِتَاقْ. وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلضَّرْبِ فِي طِلَاعِ الأَرْضِ الوَاسِعْ، وَسَبِيلٌ لَاحِبٌ لِلسَّبْحِ فِي فَضَائِهَا الشَّاسِعْ. فَلَيْسَ مَعْنَى التَّقَاعُدِ التَّقَاعُسْ، وَإِنَّمَا هُوَ مَيْدَانٌ لِلْعَمَلِ وَالتَّنَافُسْ. فَكَمْ مِنْ عَامِلٍ كَانَ خَامِلًا مُهَمَّشَا، فَلَمَّا تَقَاعَدَ انْتَشَى، وَمِنَ الخَيْرَاتِ احْتَشَى، وَتَصَرَّفَ فِي وَقْتِهِ كَمَا يَشَا.

وَقَدْ نَظَمْتُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً أَبْطَلْتُ فِيهَا حُجَجَ الخُصُومْ، وَقَاوَمْتُ بِمَا أُوتِيتُ مِنْ عَزْمٍ مَا شَنُّوهُ مِنْ هُجُومْ. فَصَوَّرْتُ ذَلِكَ فِي: قَالُوا وَقُلْنَا، وَفِي مَعْمَعَتِهَا صُلْنَا وَجُلْنَا. ثُمَّ أَنْشَدْ، فِي ذَلِكَ المَحْشَدْ:

قَالُوا: التَّقَاعُدُ نَكْبَةٌ! ... قُلْنَا: كَلَامٌ جَائِرُ
قَالُوا: يَنَامُ نَهَارَهُ ... وَاللَّيْلُ فِيهِ سَاهِرُ!
قُلْنَا: يُحَادِثُ زَوْجَهُ ... أَوْ ضَيْفَهُ وَيُسَامِرُ
أَوْ أَنَّهُ يَقْرَا كِتَا ... بًا فِيهِ عِلْمٌ زَاخِرُ
قَالُوا: يُسَافِرُ دَائِمًا ... مَعْ صَحْبِهِ وَيُغَادِرُ!
قُلْنَا: المُسَافِرُ حَائِزٌ ... (لِلْخَمْسِ)[٢٤]، فَهْوَ الظَّافِرُ
قَالُوا: يَرُوحُ إِلَى البَرَا ... رِي دَائِبًا وَيُغَامِرُ!
قُلْنَا: يُمَتِّعُ نَاظِرًا ... فَالبَرُّ فِيهِ مَنَاظِرُ
لَاسِيَّمَا زَمَنَ الرَّبِيـ ... ـعِ، وَذاكَ أَمْرٌ ظَاهِرُ
فَهُنَاكَ تَرْتَاحُ النُّهَى ... حَيْثُ الجَمَالُ السَّاحِرُ
قَالُوا: لَدَيْهِ صَحَائِفٌ ... وَدَفَاتِرٌ وَمَحَابِرُ
مَنْشُورَةٌ فِي بَيْتِهِ ... قَدْ ضَجَّ مِنْهَا العَابِرُ!



مَقَامَةُ التَّقَاعُدِ

قُلْنَا: جَمِيلٌ أَنْ تُدَوَّ   نَ فِي الطُّرُوسِ مَشَاعِرُ
أَوْ ذِكْرَيَاتٌ قَدْ مَضَتْ   أَحْدَاثُهَا، وَخَوَاطِرُ
أَوْ أَنْ يُدَوِّنَ شِعْرَهُ   فَالشِّعْرُ فِيهِ مَفَاخِرُ
قَالُوا: يُضَيِّعُ وَقْتَهُ   فِي البَيْتِ وَهُوَ يُحَاضِرُ
فَتَرَاهُ عِنْدَ الكُومْبُيُو   تَرِ جَالِسًا وَيُحَاوِرُ!
قُلْنَا: يُعَلِّمُ عَنْ طَرِيقِ (الزُّ   ومِ) [٢٥] مَنْ هُوَ نَافِرُ!
لَا سِيَّمَا زَمَنَ (الكُرُو   نَا) [٢٦] وَالجَمِيعُ يُحَاذِرُ
قَالُوا: يُحَصِّلُ رَاتِبًا   وَهُوَ النَّؤُومُ السَّادِرُ!
قُلْنَا: فَذَلِكَ حَقُّهُ   إِذْ كَانَ قَبْلُ يُثَابِرُ
قَالُوا: تَحَوَّلَ تَاجِرًا   فَغَدَا العَقَارَ يُعَاقِرُ!
قُلْنَا: يُنَمِّي دَخْلَهُ   - مَا دَخْلُكُمْ؟ - وَيُكَاثِرُ
إِذْ إِنَّ رَاتِبَهُ يَقِلُّ   لِأَجْلِ ذَاكَ يُتَاجِرُ
قَالُوا: غُلِبْنَا فِي الحِجَاجِ   وَأَنْتَ فِينَا الظَّافِرُ
فَارْفُقْ بِنَا يَا سَيِّدِي   فَالرِّفْقُ شَيْءٌ بَاهِرُ!

قَالَ الـرَّاوِي: فَانْبَـرَى مِنْ بَـيْـنِهِمْ شَـابٌّ حَدِيثُ السِّـنّ، تَـخَالُهُ مِنَ الـجِنِّ وَلَيْسَ مِنَ الـجِنّ. فَقَالَ: عَفْوًا يَا أَبَا الفَضْل، وَصَاحِبَ الـكَلَامِ الـهَضْل[٢٧]. كَيْفَ تَـرُدُّ عَلَى مَنْ إِذَا رَأَوْا الـمُتَقَاعِـدَ، قَالُوا: مُتْ قَاعِدًا. فَغَضِـبَ أَبُو الفَضْلِ مِنْ هَذِهِ العِبَـارَةِ وَزَمْـجَرْ، حَتَّى حَسِـبْنَا أَنَّهُ سَـيَزْأَرْ. ثُـمَّ بَادَرَهُمْ بِلَا رَيْث، وَقَدْ تَوَثَّبَ تَوَثُّبَ اللَّيْث:

يَا مَنْ يَقُولُ لِمَنْ تَقَاعَدَ حَاسِـدًا:

مُتْ قَاعِدًا إِنْ شِئْتَ، أَوْ مُتْ رَاقِدَا[٢٨]

فَلَقَدْ رَجَعْـتَ إِلَى الوَرَاءِ مَسَـافَةً

وَالنَّفْـعُ فِيْكَ لَقَـدْ غَـدَا مُتَبَاعِدَا!

فَأَقُـولُ: كَلَّا، ذَاكَ قَـوْلُ مُعَانِـدٍ

وَمِـنَ الصُّعُوبَـةِ أَنْ تَـرُدَّ مُعَانِـدَا

إِنَّ اللَّبِيـبَ إِذَا تَـقَـادَمَ عُمْـرُهُ

أَضْحَـى بِـخِبْـرَتِـهِ الطَّوِيلَـةِ رَائِدَا

تَتَسَابَقُ الشَّرِكَاتُ لِاسْتِقْطَابِهِ
وَيَكُونُ فِيهَا بِالْجَدَارَةِ قَائِدَا
وَيَحُوزُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ مِنَ العَطَا
وَتَحُوزُ مِنْ جَرَّاهُ فَخْرًا زَائِدَا
وَانْظُرْ إِلَى العُظَمَاءِ كَيْفَ تَصَدَّرُوا
وَجَنَوْا جَوَائِزَ جَمَّةً وَقَلَائِدَا
هَلْ كَانَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَقَاعَدُوا
فِي غَالِبٍ، فَافْهَمْ مَقَالِي رَاشِدَا
وَاحْذَرْ مِنَ الْحَسَدِ الَّذِي هُوَ آفَةٌ
وَعَنِ الصَّوَابِ هُدِيتَ لَا تَكُ حَائِدَا!

فَأَيْقَنَ القَوْمُ عِنْدَ ذَاكَ بِصَوَابِ قَرَارِهْ، وَغَبَطُوهُ عَلَى مُكُوثِهِ فِي بَيْتِهِ وَقَرَارِهْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا وَقَدْ أَزْمَعُوا عَلَى الانْصِرَافْ، بَعْدَ أَنِ اسْتَمْتَعُوا بِمَا سَمِعُوا مِنْ جُمَلٍ وَقَوَافْ. نَرْجُو

أَلَّا تَشْتَغِلَ بِغَيْرِ التَّأْلِيفْ، وَلَا تُبَدِّدْ وَقْتَكَ فِي غَيْرِ التَّصْنِيفْ. فَإِنَّ كِتَابَ الإِنْسَانِ وَلَدُهُ الـمُخَلَّدْ(٢٩)، وَصَرْحُهُ الْـمُمَرَّدْ. لَكِنْ لَا تَكْتُبْ إِلَّا فِيمَا لَمْ يُكْتَبْ فِيهْ، وَاحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ مِنَ التَّكْرَارِ وَالتَّمْوِيهْ. فَإِنَّ أَكْثَرَ الـمُؤَلَّفَاتِ اليَوْمَ لَيْسَ فِيهَا إِبْدَاعْ، وَلِذَا خَلَتْ مِنَ الإِفَادَةِ وَالإِمْتَاعْ.

ثُمَّ مَا لَبِثُوا أَنِ انْصَرَفُوا وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبْ، وَافْتَرَقُوا بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ الدُّرُوبْ.

❀❀❀

تَمَّتْ بِحَمْدِ الله

الحواشي

(١) قالَ محمدُ بنُ بَشير:

كَمْ مِنْ مُضَيِّعِ فُرْصَةٍ قَدْ أَمْكَنَتْ
لِغَدٍ وَلَيْسَ غَدٌ لَهُ بِمُوَاتِ
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ طِلَابُهَا
ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتِ!

اللطائف والظرائف للثعالبي – دار المناهل، ط ١- (ص: ١٢٤).

- وقال عبدُ الغفّار الأخرس (ت ١٢٩٠ هـ) في ديوانه (ص: ٥٦٥):

وَانْتَهِزْهَا فُرْصَةً قَدْ أَمْكَنَتْ
فَاغْتَنِمْهَا، وَاتَّخِذْهَا مَغْنَمَا
وَانْتَهِبْهَا لَذَّةً إِنْ تَنْقَضِي
يَا نَدِيمِي أَعْقَبَتْكَ النَّدَمَا!

(٢) قال أبو بكر الأنباري: "الأصل في تَبَشْبَش: تَبَشَّش. فاستثقلوا الجمعَ بين ثلاثِ شِينات، فأبدلوا من الثانيةِ باءً. وهو مأخوذٌ من البشاشةِ، وهي الانبساطُ والسرورُ". الزاهر في معاني كلمات الناس – مؤسسة الرسالة، ط ١ – (١/ ٢٢٦).

(٣) جاء في كتاب" أضواء على لغتنا السَّمحة" لمحمد خليفة التونسي (ص: ١٤٦): "في الفَصيحةِ: نَعَشَهُ اللهُ ونَعَّشَهُ: جَبَرَهُ بَعْدَ فَقْرٍ، وانْتَعَشَتْ حَالُهُ: حَسُنَتْ وطَابَتْ، ونقولُ: هَوَاءٌ أَوْ شَرَابٌ مُنْعِشٌ، أَيْ سَارٌّ، يُحْدِثُ فِي النَّفْسِ خِفَّةً وَرَاحَةً.

ونقـولُ في الدَّارِجَةِ: شَـرَابٌ أَوْ هَـوَاءٌ "مُنَعْنِشٌ" بِالمعْنى نفسِـه، ونَعْنَشَنِي: أَيْ أَنْعَشَنِي وَحَسَّنَ حالي، فالمعْنى واحدٌ".

(٤) الـهَاجِس: هو أولُ مَراتِبِ القَصْدِ لفعل الشيءِ، وقد نظمَه بعضُهم بقولِه:

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ: هَاجِسٌ ذَكَرُوا، فَخَاطِرٌ، فَحَدِيثُ النَّفْسِ، فَاسْتَمِعَا
يَلِيهِ هَمٌّ، فَعَزْمٌ، كُلُّهَا رُفِعَتْ سِوَى الْأَخِيرِ فَفِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

انظر: تحفة الحبيب على شـرح الخطيـب للبُجَيرمي - دار الفكر، ١٤١٥ هـ - (٤/ ٤٣١)، وروح المعـاني للألوسـي - دار إحيـاء التراث العربي، ط ١ - (٢/ ٦٤).

(٥) النَّضْل: هو الـهُزَالُ والإِعْياءُ. يُقالُ: نَضِلَ البعيرُ والرجُلُ نَضْلًا هُزِل وأَعْيا. لسان العرب - دار صادر، ط ٣ - (١١/ ٦٦٦).

(٦) العَضْـل: هو ضَـرْبُ العَضَلَةِ. يُقـالُ: عَضَلَ فُلَانًا عَضْـلًا إذا ضَرَبَ عَضَلَتَـهُ. المعجـم الوسـيط - مكتبـة الشـروق الدوليـة، ط ٤ - (ص:٦٠٧).

(٧) القَالَة: اسْـمٌ لِلْقَوْلِ الفَاشِـي فِي النَّاسِ، خيرًا كَانَ أَوْ شَـرًّا. المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٧).

(٨) الإِدُّ: العَجَـبُ، والأَمْـرُ الدَّاهِي الفَظيعُ الـمُنْكَـرُ. القاموس المحيط للفيروزابادي - مؤسسـة الرسالة، ط ٨ - (ص: ٢٦٥)، والمعجم الوسيط (ص:١٠).

(٩) لِكثرةِ مَعارفِه وعُلومِه وفُنونِه وتشعُّبِها كما سيأتي في الحاشية التالية.

(١٠) وُلِدَ السيوطيُّ بين الكُتبِ ونشأَ بينَها؛ ولذا لُقِّبَ بابنِ الكُتبِ! وفي هذا يقول محمد العاقب الجَكَني الشنقيطي في "نظم كشف العَمَى والرَّيْن، عن ناظِرِيْ مصحفِ ذِي النورَيْن" (ص: ٣١):

وَنَقْطُ (يُنْفِقُ) انْتِهَاءِ مَا كُتِبْ
كَمَا نُمِي إلى السُّيُوطِيْ ابنِ الكُتُبْ!

وقد ترك له أبوه مكتبةً زاخرةً بالمصنَّفات، كما كان يتردّدُ منذُ صِغَرِه على مكتبة المدرسة المحمودية، وفيها كتبٌ كثيرةٌ جدًّا كما قال الحافظُ ابنُ حجر الذي صنع لها فهرسًا، وكذا فعل السيوطيُّ وسمَّاهُ "بذل المجهود في خِزانة محمود".

بدأ السيوطيُّ التأليفَ والتصنيفَ في سنٍّ مُبكِّرةٍ عامَ (٨٦٦ هـ) وهو لم يتجاوز السابعةَ عشرةَ من عُمْرِه! وأولُ كتابٍ ألَّفه: "رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة". قال: "شرعتُ في التصنيف سنة ستٍ وستين، وبلغتْ مؤلفاتي إلى الآن ثلاثَ مئةِ كتاب! سوى ما غسلتُه ورجعتُ عنه".

تولَّى السيوطيُّ عددًا من الوظائف في التدريسِ والإفتاءِ والإملاءِ حتى بلغَ عمرُه الأربعين، ثم إنه انقطع عن ذلك كلِّه، واعتذر عنه، وألَّف كتابيْنِ في ذلك، هما: "المقامة اللُّؤلؤية في الاعتذار عن الإفتاء والتدريس"، وهي مطبوعةٌ، و"التنفيس، في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس". واستمرّ في عُزلته الفِكريّةِ والعِلميّةِ حتى

وافاهُ الأجلُ عامَ (٩١١ هـ).

قال تلميذُه الشمسُ الداوودي: "لـمَّا بلغ أربعينَ سنةً من عُمره أخذ في التجرُّدِ للعبـادة والانقطاعِ إلى الله تعالى، والاشـتغالِ به صِرْفًا، والإعـراضِ عـن الدنيا وأهلِها كأنه لـم يعرف أحدًا منهم، وشَـرَعَ في تحريـر مؤلفاته، وتَـرَكَ الإفتاءَ والتدريسَ، واعتـذرَ عن ذلك في مؤلَّفٍ ألفه في ذلك وسماه بــ "التنفيس"، وأقام في روضة المقياس فلـم يتحوَّل منها إلى أن مـات، لم يفتح طاقاتِ بيته التي على النيل من سكناه".

وقد صنَّف السيوطيُّ في كل علمٍ وفنٍّ - عدا الحساب والمنطق -، وسـبق غيـرَه إلى التصنيـفِ في مواضيعَ لم يُسـبقْ إليهـا! حتى بلغ عـددُ مصنَّفاته كمـا في كتاب "دليل مخطوطات السـيوطي وأماكن وجودها": (٩٨١) مصنَّفًا!!

وذكـر الأسـتاذُ/ إياد خالد الطبـاع في كتابه "الإمـام الحافظ جلال الديـن السـيوطي مَعْلمة العلـوم الإسـلامية" - دار القلم، ط ١ - (ص: ٣١٢) أنه تبيّن له بعد الحصر أن للسيوطيِّ (١١٩٤) عُنوانًا!!

وكانَ سريعَ الكتابةِ، حاضرَ البديهةِ في التأليف.

قـال النجمُ الغزِّي: "كان في سـرعة الكتابـة والتأليف آيةً كُبرى من آيات الله تعالى".

وقال الشـمسُ الداوودي: "عاينتُ الشـيخَ، وقد كتب في يومٍ واحدٍ ثلاثـةَ كراريس تأليفًـا وتحريـرًا، وكان مع ذلك يُملـي الحديثَ،

ويُجيبُ عن المتعارِض منه بأجوبةٍ حسنةٍ!".

ومِنَ العجائبِ أنه انتهى من كتاب "لُبّ الألباب في تحرير الأنساب" المطبوع في مجلدين - وهو اختصارٌ لكتاب "اللُّباب" لعزِّ الدين بنِ الأثير - في عشرةِ أيامٍ! وكان يَنظمُ الألفيَّةَ في خمسةِ أيام فأقلَّ!!

كما كان سريعَ الغضبِ؛ حيثُ تُكلِّفُه الغَضْبةُ الواحدةُ تأليفَ رسالةٍ أو أكثرَ يكتبها في يومٍ أو ليلةٍ! يَرُدُّ بها على خُصومه. وفي ذلك **يقولُ:** "خالفَني أهلُ عصري في خمسين مسألةً، فألَّفتُ في كلِّ مسألةٍ مؤلَّفًا بيّنتُ فيه وجهَ الحقِّ".

أضِفْ إلى ذلكَ أنَّ تبحُّرُه في العلومِ كان سببًا لسهولة التصنيف عليه، فقد **قال عن نفسه:** "رُزقتُ التبحُّرَ في سبعةِ علومٍ: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العَرَب والبُلَغاء، لا على طريقة العَجَم وأهل الفلسفة. والذي أعتقده أنَّ الذي وصلتُ إليه من هذه العلومِ السبعةِ - سوى الفقهِ - والنقولَ التي اطَّلعتُ عليها فيها، لم يصلْ إليه ولا وقفَ عليه أحدٌ من أشياخي، فضلًا عَمَّن هو دُونهم. وأما الفقهُ فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه (عَلَمُ الدين البُلْقيني) أوسعُ نظرًا وأطولُ باعًا. ودونَ هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجدل، والتصريف. ودونها: الإنشاء، والترسُّل، والفرائض. ودونها: القِراءاتُ ولم آخذها عن شيخٍ. ودونها: الطِبُّ. وأمَّا عِلْمُ الحساب فهو أعسرُ شيءٍ عليَّ وأبعدُه عن ذهني!".

وقال أيضًا: "ليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلمُ بالحديث والعربية منِّي".

وقـال أيضًا: "كَمُلتْ عندي الآنَ آلاتُ الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقـول ذلـك تحدُّثًـا بنعمـة الله لا فخـرًا، وأيُّ شـيءٍ في الدنيا حتى يُطلبُ تحصيلُها في الفخر، وقد أَزِفَ الرحيلُ، وبدا الشيبُ، وذهب أطيـبُ العُمْر؟! ولو شـئتُ أن أكتبَ في كلِّ مسـألةٍ مُصنَّفًا بأقوالها وأدلّتها النقليّة والقياسـيّة ومداركها ونُقُوضها وأجوبتها والموازنة بيـن اختـلاف المذاهب فيها، لَقَـدِرْتُ على ذلك مـن فضل الله لا بحولي ولا بقوّتي، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله".

وقـال أيضًا: "أمّـا الاجتهادُ فقد بلغتُ - ولله الحمـدُ والمنّةُ - رُتبةَ الاجتهـاد المطلَق في الأحكام الشـرعية، وفي الحديث النبوي، وفي العربيـة. ورُتبـةُ الاجتهاد في هـذه الأمور الثلاثة كانـتْ مُجتمعةً في الشيخ تقيّ الدين السبكي، ولم تَجتمعْ في أحدٍ بعدَه".

انظـر: حُسـن المحاضـرة في تاريـخ مصـر والقاهـرة - دار إحيـاء الكتـب العربيـة، ط ١ - (١/ ٣٣٧)، والتحـدُّث بنعمة الله تعالى - المطبعـة العربيـة الحديثة، ط ١ - (ص:٢٠٣) كلاهما للسـيوطي، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزّي - دار الفكر، ط ١ - (١/ ٢٢٦). وجلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الـدرس اللغوي لطاهر سـليمان حمّوده - المكتب الإسـلامي، ط ١ - (ص: ١٤٣)، وكتـاب دليل مخطوطات السـيوطي وأماكن

وجودها لأحمد الخازندار ومحمد الشيباني - مكتبة ابن تيمية، ط ١ -، والمكثرون من التصنيف في القديم والحديث لمحمد خير رمضان يوسف - دار ابن حزم، ط ١ - (ص: ٤٨).

(١١) الْجَلْفَزِيزْ: الداهِيَةُ. القاموس المحيط للفيروزابادي (ص:٥٠٦).

(١٢) هو الأديبُ السعودي/ عزيز ضياء (ت ١٤١٨ هـ) - حيثُ كان كثيرَ الاستقالة من وظائفه الحكوميّة! - فقد قال في مقالٍ كتبةُ في مجلة اليمامة، العدد (١٠٩٨) بتاريخ ٢٤/ ٨/ ١٤١٠ هـ: "قد أكشِفُ بهذه المناسبةِ عن خطإٍ ظللتُ أقترفُه وأقعُ فيه طِوالَ مدةِ خِدمتي في الدولةِ، وهو اللجوءُ إلى الاستقالةِ في اللحظةِ التي أشعرُ فيها أنَّ العملَ أو ظروفَه أصبحتْ لا تتواءمُ مع طموحي وكرامتي". انظر: "عزيز ضياء حياته وآثاره وما كُتب عنه" لأحمد بن علي الأخشمي (ص/ ٢٢)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة، رقم (٦٠).

(١٣) لما استُدعيَ العلَّامةُ المغربيُّ الدكتور/ محمد تقيّ الدين الهلالي (ت ١٤٠٧ هـ) لتدريس القرآن والحديث في دار الحديث الحسَنيّة المغربيّة أولَ ما أُنشئت، بطلبٍ من معالي وزير الأوقاف آنَذاك الأستاذ/ أحمد برقاش، وافق الشيخُ على ذلك مسرورًا، وقال: بدأتُ في إلقاء الدروس على الطلبة، وكان عددُهم في أول الأمر ثلاثينَ طالبًا، ففرح الطلبةُ بتلك الدروس وأقبلوا عليها، إلا أربعةً كانوا طُرُقيِّين تِجانيِّين؛ فإنهم كرهوا دُروسي وأخذوا يُشاغِبون

ويُكثرون من الأسئلة التعَنُّتِيَّة وأنا أدفعُهم بالتي هي أحسن .....
وفي ذات يوم كنت أُفسِّر قولَه تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾
فبيَّنتُ أنَّ كلَّ مَنْ دعا غيرَ الله أو استغاث به لجلب نفعٍ أو دفع ضرٍ فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يُغفر، فضجَّ التجانيّون وقالوا: كَفَّرتَ أسلافَنا!! فقلتُ: إنْ كان أسلافُكم يدعون إلى الشرك بالله فأبعدهم اللهُ! وأخرجتُ أحدَهم من الدروس.
ولم يكنْ معالي الوزير موجودًا في الرِّباط بل كان مسافرًا، وعميدُ الكلية كان مُتصوِّفًا خُرافيًّا يزعم أنَّ الأولياءَ إذا وصلوا درجةَ الفناء تَسقطُ عنهم التكاليفُ!! ويُباح لهم ارتكابُ الكبائر كلِّها!! فصمَّمتُ على ترك التدريس وكتبتُ استقالتي إلى معالي الوزير، وأَعترفُ أنَّ ذلك كان تَسَرُّعًا مني، وكان ينبغي لي أن أنتظرَ أوبتَه، ولكنَّ المقدَّر كائنٌ .... فلما رجع معالي الوزير تأسَّف على ذلك وقَبِلَ استقالتي.
وكانت مدةُ تدريسي في دار الحديث الحسَنيّة شهرين ونصفًا.
الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص: ٢١٢) بتصرُّف.

(١٤) **العَابُ**: الوَصْمَةُ. جمعُ أَعْيَاب وعُيُوب. المعجم الوسيط (٢/ ٦٣٩).

(١٥) **المُوضَة**: كلمةٌ دارِجةٌ، تُطلقُ على الزِيّ، والعادةِ السائدةِ، والذوقِ العامِّ، والنمطِ الذي يُولَع به الإنسانُ مُدّةً ثم يزول. **انظر**: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عمر – عالم الكتب، ط ١ – (٣/ ٢١٣٩).

(١٦) **الشَّنْكَبُوتِيَّة:** نَحْتٌ من كَلِمَتَيْ: الشبكة العنكبوتيّة، المعروفة بـ (الإِنتَرنِتْ).

والبَنْكَنُوتِيَّة: نِسبةٌ للبَنْكَنُوت، وهي: الأوراقُ النقديّةُ المتداولةُ، كالريال والدولار ونحوها. **والمعنى:** أنَّ الفوائدَ التي في الشبكة تساوي قدرَها من المال، كما أنها سبيلٌ لتحصيله لمن أحسنَ استغلالَها.

(١٧) **الأجداثُ:** هي القُبورُ.

(١٨) كتب الأديبُ المصريُّ المشهورُ/ عباس محمود العقّاد (ت ١٣٨٣هـ) بعد أن استقالَ من الوظيفة مقالًا صَحفيًّا عامَ (١٩٠٧م) بعنوان **"الاستخدامُ رِقُّ القرنِ العشرين"** جاء فيه **قولُه:** "مِن السوابقِ التي أغتبطُ بها أنني كنتُ فيما أُرجِّحُ أولَ موظَّفٍ مصريٍّ استقالَ من وظيفةٍ حُكوميةٍ بمحْض اختياره، يومَ كانت الاستقالةُ من الوظيفة والانتحارُ في طبقةٍ واحدةٍ من الغرابة وخَطَل الرأي عند الأكثرين!!

ولا أنسى حتى اليوم أنني تلقيتُ خبرَ قبولي في الوظيفة الأولى التي أكرهتني الظروفُ على طلبها، كأنني أتلقَّى خبرَ الحكم بالسجن، أو الأَسْر والعبودية ... إذْ كنتُ أُؤمن كلَّ الإيمان بأنَّ الموظَّفَ رقيقُ القرنِ العشرين"!!

وانظر: مقالًا جيدًا عن حقيقةِ الوظيفةِ والموظَّفين وواجبِهم تجاهَ أمتهم. للأستاذ/ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. في مجلة الرسالة، العدد: (١١١) بتاريخ ١٩/ ٨/ ١٩٣٥ م.

(١٩) قال أبو عُبادةَ البُحتريُّ (ت ٢٨٤ هـ):

عَجِبَ النَّاسُ لِاعْتِزَالِي وَفِي الأَطْـ ... ـرَافِ تُغْشَى مَنَازِلُ الأَشْرَافِ
وَجُلُوسِي عَنِ التَّصَرُّفِ، وَالأَرْ ... ضُ لِمِثْلِي رَحِيبَةُ الأَكْنَافِ
لَيْسَ عَنْ ثَرْوَةٍ بَلَغْتُ مَدَاهَا ... غَيْرَ أَنِّي امْرُؤٌ كَفَانِي كَفَافِي
صَافِ أَمْثَالَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ... تَعْتَرِفْ فَضْلَهُ عَلَى مَنْ تُصَافِي!
أَرْيَحِيٌّ، إِمَّا يُوَافِقُ مَا تَهْـ ... ـوَى، وَإِمَّا يَكْفِيكَ حَرْبَ الخِلَافِ!

ديوان البحتري – دار بيروت، ١٤٠٠ هـ – (١/ ٤١٥).

(٢٠) مأخوذٌ من الهَذَيانِ، وهو التكلُّم بغير المعقولِ لمرضٍ أو غيره. المعجم الوسيط (ص: ٩٧٩).

(٢١) قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا". أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧٥)، ومسلم في صحيحه (١١٥٩) واللفظُ للأول.

(٢٢) كان الشاعرُ رفيق عبد اللطيف فاخوري (ت ١٤٠٦ هـ) يكره الشعرَ الحُرَّ أيَّما كُرْه، بل قال مرةً لأحد زملائه: "سأقدِّم استقالتي من الوظيفة وأطلب إحالتي على التقاعد بسبب هذا الشعر الحُرّ الذي تُجبرنا المناهجُ الرسميةُ على تدريسه". تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف – دار الوفاق، ط ٤ – (٣/ ٢٤٥).

(٢٣) كان شيخُ الأزهرِ الإمامُ/ محمد الخَضِر حُسين (ت ١٣٧٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ مُذْ تقلَّد مَشْيَخةَ الأزهر وهو يحتفظ في جيبه باستقالةٍ

محرَّرةٍ! ونسخةٌ منها يحتفظ بها مديرُ مكتبه، وقال له: "إذا أحسستَ بضَعْفي في موقفٍ من المواقف، فَقَدِّم استقالتي نيابةً عني!".

وكان يقول: "إنَّ الأزهرَ أمانةٌ في عُنقي، أُسَلِّمها حين أُسَلِّمها، مَوفورةً كاملةً، وإذا لم يَتأتَّ أنْ يحصلَ للأزهر مزيدٌ من الازدهار على يَدِي، فلا أقلَّ من ألَّا يحصلَ له نقصٌ".

وقد حصلَ ما كان يتوقّعه، فبعد اختيارِه شَيخًا للأزهر، زاره اللواءُ/ محمد نجيب رئيس مصر للتهنئة، وبعد مدةٍ زاره السيدُ/ حسن الشافعي عضوُ قيادة الثورة، وأخبره أنَّ اللواءَ نجيب يستدعيه للتشاور في بعض المسائل! فغضب الإمامُ - وقلّما يغضب - وأخرج ورقةً من دُرْج مكتبه، وكتب عليها استقالتَه، وقال للسيد الشافعي: "قُلْ لسيادة الرئيس: إنَّ شيخَ الأزهر لا ينتقلُ إلى الحاكم!".

وقال بعد أن استقال من مَشْيخَة الأزهر: "إنْ كانتْ جَنّةً، فقد دخلتُها، وإن كانتْ نارًا، فقد خرجتُ منها!!". موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط ١ - (١/ ٣٣).

(٢٤) إشارةٌ إلى قولِ ابنِ وكيع التنِّيسي:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَى
وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ، وَاكْتِسَابُ مَعِيْشَةٍ،
وَفَضْلٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ: فِي الأَسْفَارِ ذُلٌّ، وَغُرْبَةٌ،
وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ، وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ مَقَامِهِ
بِدَارِ هُوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ!

قال الثعالبيُّ: "هو أحسنُ مَا قِيلَ فِي مَدْحِ السَّفَرِ".

انظر: يتيمة الدهر للثعالبي - دار الكتب العلمية، ط١ - (٥/ ٤٠)، والدرّ الفريد وبيت القصيد للمستعصمي - دار الكتب العلمية، ط١ - (٥/ ٣٩٠)، والسلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي - مكتبة الإرشاد، ط٢ - (١/ ١٥٣).

وتُنسب الأبياتُ أيضًا إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإلى لإمامِ الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢٥) الزوم (zoom): خِدمةٌ توفِّر الاتصالَ الهاتفيَّ عبر الفيديو، والدردشةَ عبر الإنترنت، من خلال منصَّة برمجيّة، بتقنية النِدّ للنِدّ المعتمِدة على السحابة.

وتُستخدم عادةً في المؤتمرات، والاجتماعات، والتعليم، والعلاقات الاجتماعية. وكلُّ ذلك عن بُعْدٍ.

وهي تتبع شركةً أمريكيةً تنشط في كاليفورنيا، تأسست عامَ (٢٠١١م).
ويكيبيديا = الموسوعة الحُرّة.

(٢٦) كُورُونا: يُشتقُّ اسمُ "coronavirus" - الذي يُسمَّى عربيًا: فيروس كُورُونا - من الكلمة اللّاتينيّة (corona)، وتعني التاجَ أو الهالَةَ.

وهي مجموعةٌ من الفيروسات الـمُغلَّفة مع جينومِ حِمْضٍ نوويٍّ

مُفرد السلسلة مُوجب الاتجاه.

وتُسبِّب كورونا أمراضًا للثديّيات والطيور. كما تُسبِّب للبشر عدوى في الجهاز التنفُّسي تتضمّن الزكامَ وارتفاعَ درجة الحرارة. وعادةً ما تكون طفيفةً، وربما تكون قاتلةً؛ مثل المتلازمة التنفسيّة الحادَّة الوخيمة، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسيّة، وفيروس كورونا الجديد (كُوفِد ١٩). ويكيبيديا = الموسوعة الحُرّة.

(٢٧) **الهَضْلُ**: الكثير.

(٢٨) مِنْ لطيفِ شعرِ أبي العلاءِ المَعرِّي **قولُه** في "اللُّزوميات (١/ ٣٥٧):

لَا تَدْنُونَّ مِنَ الشُّرورِ وأَهْلِهَا
فَتَكُونَ مِنْ أَهْلِ العُلُى مُتَبَاعِدَا
فَالمَرْءُ يَقْعُدُ بِالْمَكَارِمِ قَائِمًا
وَيَقُومُ فِي طَلَبِ المَعَالِي قَاعِدَا!

(٢٩) **قال ابنُ الجوزي**: "إذا عَلِمَ الإنسانُ - وإنْ بالَغَ في الجِدِّ - بأنَّ الموتَ يَقطعُه عن العَمَل؛ عَمِلَ في حياتِه ما يَدومُ له أجرُه بعدَ موتِه، ومن ذلك: أنْ يُصنِّفَ كتابًا في العلم؛ فإنَّ تصنيفَ العالِمِ ولدُه المُخلَّد". صيد الخاطر - دار ابن خزيمة، ط١ - (ص: ٥٣) بتصرّف.

- وفي هذا المعنى **يقول** أبو الفتح البُسْتي:

يَقُولُونَ: ذِكْرُ الْمَرْءِ يَبْقَى بِنَسْلِهِ
وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلُ



فَقُلْتُ لَهُمْ: نَسْلِي بَدَائِعُ حِكْمَتِي
فَمَنْ سَرَّهُ نَسْلٌ فَإِنَّا بِذَا نَسْلُوا!

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي – دار المعارف ط١ – (٢/ ٢٨٠).

– وكان الزمخشريُّ يَعُدُّ مصنّفاتِه التي صنَّفها – وهي تزيدُ عن الخمسينَ – أبناءَه، بل جعلها أَبَرَّ به من الأبناءِ! ولذا لم يتزوجْ إلا في آخر حياته! وفي ذلك **يقول:**

بَنِيَّ – فَاعْلَمْ – بَنَاتُ فِكْرِي … حَصَانُهُمْ أُمُّهُ الدِّرَاسَهْ!
أَبْنَاءُ صِدْقٍ لَهُمْ نُفُوسٌ … وُصِفْنَ بِالفَضْلِ وَالنَّفَاسَهْ
حُمَاةُ عِرْضِي مُحَصِّنُوهُ … فِي كَنَفِ الصَّوْنِ وَالحِرَاسَهْ
بِرٌّ صَرِيحٌ بِلَا عُقُوقٍ … خُلْقٌ صَحِيحٌ بِلَا شَكَاسَهْ!
مَا نَسْلُ قَلْبِي كَنَسْلِ صُلْبِي … مَنْ قَاسَ رُدَّ لَهُ قِيَاسَهْ!
كَمْ بَيْنَ ذِي مَسْلَكٍ طَهُورٍ … وَسَالِكٍ مَسْلَكَ الخَسَاسَهْ
مَنْ سَاسَ أَبْنَاءَهُ فَإِنَّا … لِهَؤُلَاءِ البَنِينَ سَاسَهْ!

وقال أيضًا:

وَحَسْبِيْ تَصَانِيفِيْ وَحَسْبِيْ رُوَاتُهَا
بَنِينَ بِهِمْ سِيْقَتْ إِلَيَّ مَطَالِبِي
إِذَا الأَبُ لَمْ يَأْمَنْ مِنِ ابْنٍ عُقُوقَهُ
وَلَا أَنْ يَعُقَّ الابْنَ بَعْضُ الأَبَائِبِ!
فَإِنِّي مِنْهُمْ آمِنٌ وَعَلَيْهِمُ
وَأَعْقَابَهُمْ أَرْجُوهُمُ لِلنَّوَائِبِ!

انظر: مقدمة كتابه ربيع الأبرار - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ٢ - (١/ ٢٦).

- **وقال** الأديبُ الأندلسي صفوانُ بنُ إدريس المرسي: "لولا أنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، لوأدتُ بناتِ فِكْري بغيرِ ذَنْب، ونفضتُ يدِي من الأدبِ عن الصاحبِ بالجَنْب. وبَرِئتُ من الأدبِ وأربابِهْ، وأتيتُ الزمانَ من بابِهْ". مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار لابن عسكر وابن خميس - دار الغرب الإسلامي، ط ١ - (ص: ٢١٨).

- **وقال** الفيلسوفُ العراقيُّ جميل صِدْقي الزَّهاوي:

أَيُّهَا النَّاقِدُ المُهِينُ لِشِعْرِي
أَنْتَ مَا بِالنَّزِيهِ فِي النُّقَّادِ
لَا تُحَقِّرْ بَنَاتِ فِكْرِيْ فَتِلْكُمْ
كُلُّ مَا قَدْ خَلَّفْتُ مِنْ أَوْلَادِ!

مجلة الرسالة، العدد (٣) ص (١٩).

❊❊❊

